مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
e-ISSN: 3078-6355 الرقم الدولي: RCTD GIJR - 0015-25 رقم تسجيل المجلة:

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/١٠,٦٢٨١٠/jis.v٢i١,١٩٥

ضوابط التفسير النحوي في كتاب "معاني القرآن" للفرّاء

الباحث:

الدكتور مصطفى قدوري، أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، أكاديمية سوس ماسة – المغرب العربي.

الايميل: sttaff.kaddouri٩٠@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال : (١٦ صفر ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (٠٨ ربيع الأول ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (١٥ربيع الأول ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٣٠ ربيع الأول ١٤٤٧)

الملخص: لا غرو أن القرآن الكريم عُدّ المصدر الأساس لنشأة جميع العلوم، وقد كانت الحاجة إلى فهمه سببا في نشوء مجموعة من العلوم التي تساعد في تفسيره وتأويله، فنشأ بذلك علم التفسير، علم القرآن، علم اللغة، علم الحديث، علم أصول الفقه، وقد تضافرت هذه العلوم وتعاونت فيما بينها لإخراج الآيات المخرج الصحيح الذي لا يجانب الصواب، ويقرب العبد من كلام خالقه، وقد ظهر هذا التعاون بشكل جلي في كتابات الباحثين في القرآن وعلومه، وكتابات اللغويين القدماء، ومن بين هؤلاء الفرّاء في كتابه "معاني القرآن" الذي جمع فيه بين علم التفسير والعلوم اللغوية، وقد تمحور الهدف الأساسي من هذه الدّراسة في تتبع جهود الفرّاء اللغوية في تفسيره؛ وبعبارة أخرى إبراز مظاهر التعاون بين علم النحو وعلم التفسير، حيث توصلت الدّراسة إلى نتيجة أساسية مفادها أن الفرّاء يبحث في معاني الآيات القرآنية، ثم يخرجها مخرجا لغويا، يعلق على الآيات بما يناسب المقام مستعينا بقراءات القرّاء الذين يوافقهم أو الذين يعارضهم، انصب اهتمامنا على دراسة كتاب الفرّاء "معاني القرآن"، للأسباب التالية: أولها: أنه كتاب يبحث في كلام الله عز وجل. ثانيها أن صاحبه حرص فيه على بيان وتفسير الفرآن الكريم كاملا تفسيرًا لا يقتصر على المعنى فقط، وإنما يبحث في اللغة من حيث القواعد والتراكيب وبيان المفردات... وثالثها أن الفراء كان فقيها عالما بالفقه والنحو والقراءات واللغة، وقد أثنى عليه العلماء على اختلاف مذاهبهم (سنيين ومعتزليين).

الكلمات المفتاحية: التفسير، علم اللغة، الفرّاء، معاني القرآن، النحو.

The Rules of Grammatical Interpretation in the Book: The Meanings of the Qur'an by Al-Farrā

ABSTRACT: There is no doubt that the Holy Book (the Qur'an) has been regarded as the fundamental source of all other sciences, and the need to comprehend it was the reason many other fields emerged in order to interpret and explain it. Accordingly, the sciences of exegesis, Qur'anic studies, linguistics, Hadith, and Uṣūl al-Fiqh developed. These disciplines worked together to clarify the verses of the Qur'an and to bring human beings closer to the speech of God. This collaboration is clearly reflected in the scholarly literature on Qur'anic sciences, as well as in the contributions of early linguists, among them Al-Farrā, in his book The Meanings of the Qur'an, which combines linguistic analysis and exegesis. The main objective of this study was to examine the linguistic efforts of Al-Farrā in his interpretation of the Holy Book—in other words, to shed light on the collaboration between the science of grammar and the science of exegesis. The study arrived at a fundamental conclusion: Al-Farrā sought the meanings of the Qur'anic verses from a linguistic perspective and offered commentary on them according to their context, taking into account the opinions of other readers, whether they agreed or disagreed with him. Our choice to study Al-Farrā's Ma'ānī al-Qur'ān stems from several reasons: it is a work dedicated to the speech of God; it offers a comprehensive interpretation of the Qur'an, addressing not only meaning but also grammar, syntax, and vocabulary; and its author was a respected scholar in jurisprudence, grammar, Qur'anic readings, and language, praised by both Sunni and Mu'tazilite scholars.

Keywords: Al-farae, Explanation , Linguistics, Qur'an meanings, Grammar

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين، وبعد فإن أهمية البحث تكمن في بيان الدور الكبير الذي تلعبه قواعد اللغة في تفسير معاني القرآن، وكيف يمكنها أن تسهم في الكشف عن البنية العميقة للخطاب البلاغي القرآني، فكلام الله عز وجل لا يحيط به إلا متبحر في اللغة، واللغة تقوم على ضوابط وأصول لا يدركها إلا أبهة الباحثين وأعظمهم. ولا ضير أن كتاب "معاني القرآن" للفرّاء[١] يحظى عند الباحثين عبر التاريخ قديما وحديثًا بأهمية كبيرة، كيف لا؟ وقد أثنى عليه أصحابه ومعاصروه، وشهدوا له بالنبوغ العلمي، ولمكانته العلمية اتخذه أمير الدولة مؤدبا لأبنائه.

فكما هو معلوم أن "معاني القرآن" كتاب في التفسير إلا أن الفرّاء اتجه فيه اتجاها لغويا، يطغى عليه الجانب النّحوي في تفسير الآيات القرآنية وتوجيهها، وقد حاولت جاهدا تتبع جهود الفراء في تفسيره وتوجيهه النّحوي للقراءات القرآنية؛ وذلك مثل: المبتدأ والخبر، النعت، الاستثناء ...

وإذا كان علم الصوت يبحث في طريقة نُطق الكلمات، ومخارج الحروف، وعلم الصّرف يبحث في بنية الكلمة وأوزانها، فإن علم النّحو يبحث في التراكيب؛ أي تعلّق الكلمات بعضها ببعض، وارتباطها عن طريق الإسناد. فما مظاهر هذه القواعد في تفسير الفرّاء؟ وما تعليقاته على ذلك؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، ارتأينا أن نستنبط من كتاب الفراء "معاني القرآن" نماذج لمجموعة من قواعد التفسير اللغوية التي ارتضاها الفرّاء أن تكون مُعينا له في تفسير الآيات القرآنية دون التصريح بها أو الكشف عنها؛ وقد وردت في مظاهرَ متنوعة تضمنها تفسيره؛ حيث إن دأب الفرّاء في الكتاب أنّه يفسر الآيات القرآنية تفسيرا لغويا يطغى عليه الجانب النّحوي، قبل الجانب الصوتي أو البلاغي أو المعجمي... ومرادنا أن نتتبع جهوده في هذا التفاعل بين علم النحو والتفسير.

١. إشكالية البحث:

يبتغي البحث الإجابة عن إشكالية العلاقة بين علوم اللغة والتفسير اللغوي، وذلك لأن كتاب الفراء "معاني القرآن" كتاب في التفسير أي في بيان معاني الآيات القرآنية؛ ليس من جانب المعنى فقط وإنما جوانب علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وتوجيه للقراءات القرآنية. فالسؤال الإشكالي هو: كيف يتداخل علم النحو بالتفسير اللغوي في تفسير الفراء، وما ضوابط ذلك؟

٢. أسئلة البحث:

حاول البحث الإجابة على مجموعة من الأسئلة المرتبطة بموضوعه نذكر منها:

---

[١] – وهو الذي قال فيه ثمامة بن أشرس النميري المعتزلي لما رأى الفرّاء: «رأيتُ أبهة أديب، فجلست إليه، ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرًا، وفاتشته عن النّحو فشاهدته نسيج وحده... » وثمامة بن أشرس هو أَبُو معن النميري أحد المعتزلة البصريين، ورد بغداد، واتصل بهارون الرشيد وغيره من الخلفاء، وله أخبار ونوادر، يحكيها عنه أَبُو عثمان الجاحظ، وغير واحد. تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م. ٨: ٢٠.

– ما العلاقة بين المعنى والمبنى في كتاب "معاني القرآن للفراء"؟

– ما ضوابط وأصول التفسير اللغوي في كتابه؟

– ما العلاقة بين النحو والتفسير اللغوي في كتاب "معاني القرآن" للفراء؟

– كيف يمكن توظيف المنهج الوصفي لتتبع جهود الفرّاء في معاني القرآن؟

٣. أهداف البحث:

يكمن الهدف العام من الدّراسة في تقريب المتلقي من منهج الفراء في التفسير باعتباره رائدًا من رواد مدرسة الكوفة، وعالما من علمائها النحويين الأفذاذ، أما أهدافها الخاصة فيمكن بيانها فيما يلي:

- الكشف عن القواعد اللغوية التي استند إليها الفرّاء في تفسيره "معاني القرآن".

- تقريب المتلقي من منهج الفرّاء في النحو، والمصطلحات التي تفرّد بها في المدرسة الكوفية.

- بيان قيمة كتاب "معاني القرآن" في المرحلة التي عاش فيها، خصوصا وأنه أول الكتب التي عنيت بتفسير القرآن الكريم.

٤. منهج البحث:

وظف البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال:

– تتبع جهود الفراء اللغوية في تفسيره "معاني القرآن".

– استنباط القواعد والضوابط النحوية التي وجه بها الفرّاء الآيات القرآنية.

– تحليل كلام الفرّاء والتعليق عليه في ضوء آراء بعض العلماء والباحثين.

٥. خطة البحث:

جاءت الدّراسة مبنية بناء محكما من مقدّمة وخمسة مباحث وخاتمة:

مقدّمة: مدخل تمهيدي للبحث يعرض إشكال البحث وأهميته ومنهجه وخطته وأهم الدّراسات السابقة.

١) المبحث الأول: الحذف والتقدير.

٢) المبحث الثاني: النعت.

٣) المبحث الثالث: الاستثناء.

٤) المبحث الرابع: الوجوه الإعرابية للفظ "غير".

٥) المبحث الخامس: ترافع المبتدأ والخبر.

خاتمة. تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم أبرز التوصيات.

٧. الدراسات السابقة:

في الساحة العلمية مجموعة من الكتب والمقالات والرسائل الجامعية التي تناولت كتاب الفرّاء بالدّراسة والتحليل من الجانب اللغوي، فانكب معظمها على نحو الفرّاء أو صرفه أو القراءات التي اعتمدها للاستشهاد أو التعليل، وبحثنا ينحو هذا الاتجاه، إلا أنه يركز على بيان ضوابط وقواعد التفسير النحوي، وقد ذكرنا في خطة البحث أهم نماذجه. ولنتخذ إلى ذلك بعض المراجع على سبيل الاستشهاد لا الحصر:

١–أصول اللغة والنّحو بين الأخفش والفرّاء من خلال كتابيهما "معاني القرآن". رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية تخصص علوم اللسان العربي، إعداد الطالب أحمد الشايب عرباوي إشراف الدكتور محمد خان، جامعة محمد خيضر بسكرة، السنة الجامعية ٢٠١٣–٢٠١٤.

٢–أبو زكريا الفراء، د. أحمد الأنصاري المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ١٩٦٢م.

٣–التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفرّاء في "معاني القرآن"، د. طه صالح أمين آغا، دار المعرفة بيروت لبنان ط١ ٢٠٠٧م.

٤–جهود الفرّاء الصرفية، إعداد محمد بن علي الدغريري، إشراف د. محمد المختار محمد المهدي، الطبعة ١٩٩١م.

٥–شواهد النّحو الشعرية في كتاب معاني القرآن للفرّاء، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها أعدّها الطالب: حسن الشارف تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بودرع بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز– فاس السنة الجامعية: ٢٠٠٤–٢٠٠٥م.

المبحث الأول: الحذف والتقدير:

يراعي هذا المبحث مواضع الحذف في بعض التراكيب، ويبين سبب ذلك، وأهميته، ثم يناقش مواضع التقدير في الكلام، ويوضح علته من الاختصار والإيجاز.

–الصواب في كلمة "بشرًا" النصب في حالة حذف الباء:

قال تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[١].

يقول الفرّاء وقوله: "﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[٢] نصبت (بشراً) لأن الباء قد استعملت فيه فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلمّا حذفوها أحبّوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه فنصبوا عَلى ذلك؛ ألا ترى أنّ كل ما في القرآن أتى بالباء إلا هذا، وقولَه: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾[٣] الأمهات في موضع نصب لما ألقيت منها الباء نصبتَ، كما قال في سورة يوسف ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ إنما كانت في كلام أهل الحجاز: ما هذا ببشر؛ فلما ألقيت الباء ترك فيها أثر سقوط الباء وهي في قراءة عبد الله ﴿ما هنّ بأمهاتهم﴾ وأهل نجد إذا ألقوا الباء رفعوا، فقالوا ﴿ما هذا بشر﴾، ﴿ما هنَّ أمهاتهم﴾. وأمّا أهل نجد فيتكلّمون بالباء وغير الباء فإذا أسقطوها رفعوا. وهو أقوى الوجهين في العربية"[٤].

---

[١] – سورة يوسف، الآية: ٣١.

[٢] – سورة يوسف، الآية: ٣١

[٣] – سورة المجادلة، الآية: ٢.

[٤] – الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (المتوفى: ٢٠٧هـ) ١٩٨٣م. معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار الشلبي، الطبعة: الثالثة، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ٣: ٢٥.

التعليق:

سمى المبرد هذا الباب بـ "بَاب مَا جرى فِي بعض اللُّغَات مجْرى الْفِعْل لوُقُوعه فِي مَعْنَاهُ وَهُوَ حرف وَجَاء لِمَعْنى وَيجْرِي فِي غير تِلْكَ اللُّغَة مجْرى الْحُرُوف غير العوامل وَذَلِكَ الْحَرْف مَا النافية"[١]. فما النافية هنا جاءت بمعنى الفعل (ليس) التي تعمل عمل كان وأخواتها، فترفع المبتدأ وتنصب الآخر، وقد رفعت اسمها "هذا" ونصبت خبرها (بشرًا). وقد خالف المبرد الفرّاء في المسألة، حيث ذهب الفراء إلى أن بشرا منصوب على نزع الخافض، وذهب المبرد إلى أنه منصوب على أنه خبر ما المشبهة بليس، أما دخول الباء على خبرها (ببشر) فإن حركة (بشر) تنسجم مع حرف الجر، وتجر لفظا وتنصب محلا.

يُناقش المبرِّد هذه القضية في المقتضب بقوله: "ما زيد قائمًا، وما هذا أخاك. كذلك يفعل أهل الحجاز. وذلك أنهم رأوها في معنى (ليس) تقع مبتدأة، وتنفي ما يكون في الحال وما لم يقع. فلمّا خَلَصتْ في معنى (ليس) ودلّت على ما تدلُّ عليه، ولم يكن بين نفيها فصل البتّةَ حتى صارت كل واحدة تغني عن الأخرى، أجروها مُجراها. فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[٢]، و﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾[٣]. أمّا الذين رفعوا كلمة (بشر) وقالوا (ما هذا بشر) فهي لغة أخرى نُسبت إلى بني تميم، ودليلهم في ذلك أن (ما) بمنزلة (إنّما)، و "ما" عندما تدخل على الحرف تمنعه من عمله، فبقيت كلمة (بشر) على أصلها وهي الرّفع، كما في بعض اللغات مثل لغة تميم: "وأمّا بنو تميم فيقولون: "ما زيدٌ منطلقٌ. يدعونها حرفاً على حالها بمنزلة (إنّما) إذا قلت: إنّما زيدٌ منطلقٌ"[٤].

المبحث الثاني: النعت:

النعت هو الصفة المكملة لمعنى الكلمة التي قبلها، أو لمعنى يرتبط بها، وهو يتبع المنعوت –إذا كان حقيقيا– في كل أحواله: في التذكير والتأنيث والإفراد والجمع، وفي الرفع أو النصب أو الجر وغير ذلك، أما إن كان سببيا ففي التعريف والتنكير والإعراب فقط. وسنرى في هذا المبحث كلمة "مثل" وردت في القرآن الكريم صفة منصوبة في موضع المصدر.

–الأصل في "مثلَ" النّصب في موضع المصدر والرفع في موضع النعت:

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٥].

---

[١] – المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة. لبنان، عالم الكتب. — بيروت، ٤: ١٨٨.

[٢] – سورة يوسف، الآية: ٣١.

[٣] – سورة المجادلة، الآية: ٢.

[٤] – المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبي العباس، المعروف (المتوفى: ٢٨٥هـ)، ١٩٩٤م. المقتضب، المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة بيروت القاهرة، عالم الكتب، ٤: ١٨٨. وأهل الحجاز إذا أدخلوا عليها ما يوجبها، أو قدّموا خبرها على اسمها، ردُّوها إلى أصلها فقالوا: ما زيد إلا منطلقٌ، وما منطلقٌ زيدٌ؛ لأنها حرف لا يتصرَّف تصرّف الأفعال، فلمْ يَقْوَ على نقض النّفي كما لم يقوَ على تقديم الخبر. وأنَّ الشيء إنما يتصرَّف عملهُ كما يتصرَّف هو في نفسِه؛ فإذا لزِم طريقةً واحدةً لزم ما يعمل فيه طريقة واحدة. انظر المرجع نفسه.

[٥] – سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

يقول الفرّاء:"... وقد رفع عاصم والأعمش (مثل) ونصبها أهل الحجاز والحسن، فمن رفعها جعلها نعتاً للحقّ، ومن نصبها جعلها في مذهب المصدر، كقولك: إنّه لحق حقاّ، وإنّ العربَ لتنصبها إذا رفع بها الاسم فيقولون: مثلَ من عبد الله؟ ويقولون: عبد الله مثلَك، وأنتَ مثلَه. وعلة النصب فيها أن الكاف قد تكون داخلةً عليها؛ فتُنصب إذَا ألقيت الكاف. فإن قَالَ قائل: أفيجوز أن تَقُول: زيدٌ الأسدَ شدةً، فتنصب الأسد إذَا ألقيت الكاف؟ قلت: لا وذلك أن مثلَ تؤدى عَنِ الكاف والأسدُ لا يؤدي عَنْهَا"[١].

التعليق:

في إعراب كلمة (مثل) وجهان جائزان في الإعراب عند علماء النّحو حسب تفسير الفرّاء، بناء على ما سُمع من لغة العرب: الوجه الأول نصب "مثل"، فيقال: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ﴾، فتعرب مفعولا به للمصدر (حقٌّ)، فيقدر الكلام (إنه لحق حقا) ما أنكم تنطقون فيكون مثل موضع حقا، والثاني رفع (مثل)، فيقال: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلُ﴾، وقد جعل (مثل) نعتا تابعا (لحقٌّ) فطابقتها في الرفع والتذكير، وبأيهما قرأ القارئ فمصيب كما ذهب إلى ذلك الطبري. ويشرح علّة نصبها بقوله: "اختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ﴾فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة (مِثْلَ مَا) نصبا بمعنى: إنه لحقّ حقا يقينا كأنهم وجهوها إلى مذهب المصدر. وقد يجوز أن يكون نصبها من أجل أن العرب تنصبها إذا رفعت بها الاسم، فتقول: مثل من عبد الله، وعبد الله مثلك، وأنت مثلُه، ومثلَهُ رفعا ونصبا. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة، وبعض أهل البصرة رفعا ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ﴾ على وجه النعت للحقّ. والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب"[٢].

أما من قال برفع (مثل) فإنه جعلها بدلا من الحق، ومن هؤلاء البغوي طيبة حيث يفسرها بقوله: "وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: (مثل) برفع اللام بدلا من "الحق"، وقرأ الآخرون بالنصب أي كمثل، ﴿مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ فتقولون: لا إله إلا الله. وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي، كما تقول: إنه لحق كما أنت ها هنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة. قال بعض الحكماء: يعني: كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره"[٣].

المبحث الثالث: الاستثناء:

هو الاسم المنصوب الذي يأتي بعد أداة الاستثناء، و"هو ثالث المنصوبات المشبّهات بالمفعول، وهو ضربان: متصل ومنقطع، فالمتصل: هو المخرج من حكم على متعدّد لفظا أو تقديرا بإلّا وأخواتها، والمنقطع: هو المذكور بعد إلّا وأخواتها

---

[١] – الفرّاء، معاني القرآن، ٣: ٨٥.

[٢] – تفسير الطبري، ٢٢: ٤٢٣.

[٣]– البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م. معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ٧: ٣٧٥.

غير مخرج نحو: جاء الناس إلّا حمارا، وسمّي بذلك لانقطاعه عمّا قبله"[١]. وسنرى في هذا المبحث قاعدة للاستثناء المنقطع، وقاعدة للاستثناء المتّصل. وردتا عند الفرّاء في تفسيره.

– الأصل في "قومَ" النصب على الاستثناء المنقطع:

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَٰنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾[٢].

قال الفراء: "وهي في قراءة أُبيّ (فهلاّ) ومعناها: أنّهم لم يُؤمنوا، ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله. ألا ترى أن ما بعد (إلاّ) في الجحد[٣] يتبع ما قبلها، فتقول: ما قام أحدٌ إلا أبوك، وهل قام أحدٌ إلا أبوكَ؛ لأن الأب من الأحد؛ فإذا قلتَ: ما فيها أحدٌ إلا كلباً وحماراً، نصبت؛ لأنها منقطعة مما قبل إلا؛ إذ لم تكن من جنسه، كذلك كان قوم يونس منقطعين من قوم غيره من الأنبياء. ولو كان الاستثناء ها هنا وقع على طائفة منهم لكان رفعًا. وقد يجوز الرّفع فيها؛ كما أنّ المختلِف في الجنس قد يتبع فيه ما بعد إلا ما قبل إلا"[٤].

التعليق:

إذا ورد الكلام بعد إلا تابعا لما قبلها؛ أو بعضًا منه يُرفع على الاستثناء المتصل بما قبله، مثل: ما جاء أحد إلا محمد، فقد رُفع "محمد" لأنه من أحد. أما الآية التالية فالاستثناء فيها منقطع عمّا قبله، ولهذا نُصب فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَٰنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾، فقوم لم تُعطف على ما قبلها (أهلُ القرية)، لأنها مرفوعة والاستثناء منقطع عنها، لهذا نُصِب. وهذا ما زعم الفرّاء بقوله: النصب على الاستثناء المنقطع، يوافق رأيه ابن عطية بقوله في المحرر الوجيز:

"ومفهوم من معنى الآية نفيُ إيمان أهل القُرى، ومعنى الآية: فهَلا آمن أهل القرية وهم على مهلٍ لم يلتبس العذاب بهم فيكون الإيمان نافعاً لهم في هذه الحالة، ثم استثنى قوم يونس عليه السلام، فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع، وكذلك رسمه النّحويون أجمع، وهو بحسب المعنى متّصل لأن تقديره: ما آمن من أهل قريةٍ إلا قوم يونس عليه السلام، والنّصب في قوله:(إلا قومَ) هو الوجْهُ، ولذلك أدخله سيبويه في باب (ما لا يكون فيه إلا النصب)، وكذلك مع انقطاع الاستثناء (...) وقالت فرقةٌ: يجوز فيه الرّفع وهذا مع اتصال الاستثناء، وقال المهدوي: والرّفع على البدل من (قرْيَةٌ)"[٥].

---

[١] – أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، (المتوفى: ٧٣٢ هـ)، ٢٠٠٠م. الكناش في فني النّحو والصّرف، دراسة وتحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام، لبنان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت: ١: ١٩٤، ١٩٥.

[٢] – سورة يونس، الآية: ٩٨.

[٣] – المقصود به النفي.

[٤] – معاني القرآن للفراء، ١: ٤٧٠. و٣: ٢٧٣.

٥ – بن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، (د.ت)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العالي السيد إبراهيم، محمد الشافعي الصادوق العناني. عبد السلام عبد الشافي محمد، (د.ط)، قطر، دار الخير. ٤: ٥٢٨، ٥٢٩.

– الأصل فيما بعد "إلا" النصب إذا كان ما قبله غير منفي:

قال تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾[١] **وقال** ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾[٢].

قال الفرّاء: "وفي إحدى القراءتين: إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ.

والوجه فِي (إلا) أن ينصب ما بعدها إذا كان ما قبلها لا جحد فِيهِ، فإذا كان ما قبل إلا فِيهِ جحد جعلت ما بعدها تابعا لما قبلها معرفة كان أو نكرة. فأما المعرفة فقولك: ما ذهب الناس إلا زَيْدُ. وأما النكرة فقولك: ما فيها أحد إلا غلامك، لم يأت هذا عن العرب إلا بإتباع ما بعد إلا ما قبلها. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ لأن فِي (فعلوه) اسما معرفة، فكان الرفع الوجه فِي الجحد الَّذِي ينفي الفعل عَنْهُمْ، ويثبته لما بعد إلا. وهي فِي قراءة أَبِي (ما فعلوه إلا قليلا) كأنه نفى الفعل وجعل ما بعد إلا كالمنقطع عن أول الكلام كقولك: ما قام القوم، اللهم إلّا رجلا أو رجلين. فإذا نويت الانقطاع نصبت، وإذا نويت الاتصال رفعت"[٣].

التعليق:

مرّ بنا في القاعدة السابقة حول الاستثناء المنقطع عما قبله، أن ما بعده يأتي عطفا عليه، ويحمل الحركة نفسها، إذا كان من جنسه، وموطن الشاهد هنا أن ما بعد إلا يأتي منصوبا إذا كان ما قبله غير منفي كما نقول: حضر التلاميذ إلا واحدا، فما قبل إلا جاء مثبتا غير منفي لهذا نُصب. أما إذا كان منفيا فيأتي مرفوعا، كما نقول: ما جاء أبو علي إلا أخوه مثلا.

يقدّم سيبويه في الكتاب بعض الأمثلة التي تزكي ما ذهب إليه الفرّاء بقوله: "حكى سيبويه أن يونس وعيسى جميعا أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول: ما مررتُ بأحدٍ إلا زيدا، وما أتاني أحدٌ إلا زيدا. وعلى هذا: ما رأيت أحدا إلا زيدا، فينصب زيدا على غير رأيت؛ وذلك أنك لم تجعل الآخر بدلاً من الأول، ولكنك جعلته منقطعاً مما عمل في الأول. والدليل على ذلك أنه يجيء على معنى: ولكن زيدا، ولا أعني زيدا. وعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم إذا قلت عشرون درهما.

ومثله في الانقطاع من أوله: إن لفُلان والله مالا إلا أنه شقي؛ فأنه لا يكون أبدا على إن لفلان، وهو في موضع نصبٍ وجاء على معنى: ولكنه شقي"[٤].

ويؤكد النّحاس رأي الفرّاء وسيبويه إلا أنه يضيف أن النحاة يفضلون الرفع في الكلمة وعلته في ذلك أن اللفظ أولى من المعنى حيث يقول: "وأهل الكوفة يقولون: على التكرير ما فعلوه ما فعله إلّا قليل منهم وقرأ عبد الله بن عامر وعيسى بن

---

[١] – سورة النّساء، الآية: ٦٦.

[٢] – سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

[٣] – معاني القرآن للفراء، ١: ١٦٦.

[٤] – سيبويه، ١٩٨٨م. الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة منشورات: مطبعة الخانجي ٢: ٣١٩.

عمر ما فعلوه إلّا قليلا منهم نصبا على الاستثناء. والرفع أجود عند جميع النحويين، وإنّما صار الرفع أجود لأن اللفظ أولى من المعنى وهو يشتمل على المعنى"[١].

المبحث الرابع: الوجوه الإعرابية للفظ "غير":

(غير) من الأسماء التي تستخدم في الاستثناء، وتعرب إعراب الاسم الذي يقع بعد إلا، فقد تأتي استثناء منصوبا، أو بدلا من المستثنى منه، أو فاعلا، أو مفعولا. وسنتطرق في هذا القسم إلى بعض الوجوه الإعرابية ل (غير):

– الصواب في لفظ "غير" الخفض على التكرير:

قال تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٢].

يقول الفرّاء: "و(غير) في مذهب نكرة غير مؤقتة، ولا تكون نعتاً إلا لمعرفةٍ غير مؤقتة. والنّصب جائز في (غير) تجعله قطعا من (عليهم). وقد يجوز أن تجعل (الذين) قبلها في موضع توقيت، وتخفض (غيرِ) على التّكرير: (صراط غيرِ المغضوب عليهم) "[٣].

التعليق:

(غير) في هذا الموضع إعرابها على حالتين: الحالة الأولى: تجوز أن تكون غيرِ مجرورة على النعت للذين؛ لأن (الذين) مجرورة بالإضافة لأنها مثنى، وقد تنصب، ومن قال بهذا جعلها في موضع الحال، لكن الصواب هو الخفض على النعت كما ذهب إلى ذلك أغلب المفسرين والله أعلم.

وللتفصيل أكثر نستشهد بأقوال بعض المفسرين في هذا المعرض، ولتكن البداية بصاحب البحر المحيط يشرح فيه معنى غير، ويذكر أوجه إعرابها، وما يجب أن تكون عليه إذا اتصلت بفعل فيقول: "(غير) مفرد مذكر دائما وإذا أريد به المؤنث جاز تذكير الفعل حملا على اللفظ، وتأنيثه حملا على المعنى، ومدلوله المخالفة بوجه ما، وأصله الوصف، ويستثنى به ويلزم الإضافة لفظا أو معنى، وإدخال أل عليه خطأ ولا يتعرّف، وإن أضيف إلى معرفة. ومذهب ابن السرّاج أنّه إذا كان المغايرُ واحداً تعرّف بإضافتِه إليه، وتقدّم عن سيبويه أنّ كل ما إضافتُه غير محضة، قد يقصد بها التّعريف، فتصير محضة، فتتعرّف إذ ذاك غير بما تُضاف إليه إذا كان معرفةً، وتقرير هذا كلّه في كتب النّحو"[٤].

---

[١] – النَّحَّاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (المتوفى: ٣٣٨هـ) ١٤٢١هـ. إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١: ٢٢٣، ٢٢٤.

[٢] – سورة الفاتحة، الآية: ٧.

[٣] – معاني القرآن للفراء ١: ٧.

[٤] – أثير الدين الأندلسي أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ١٤٢٠هـ. البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، (الطبعة الأولى)، دار الفكر – بيروت، ١: ٤٦. وزعم البيانيون أنَّ غيراً ومثلا في باب الإسناد إليهما مما يكاد يلزم تقديمه، قالوا نحو قولك غيرك يخشى ظلمه، ومثلك يكون للمكرمات ونحو ذك، ممّا لا يقصد فيه بمثل إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه، ولكنّهم يعنون أنّ كل من كان مثله في الصّفة كان من مقتضى القياس، وموجب العُرف أن يفعل ما ذُكر. الشرح مأخوذ من المرجع السابق نفسه.

أما ابن كثير فإنه يبين لنا مواضع الجر انسجاما مع ما ذكره الفرّاء، وينقل لنا بعض القراءات، ثم يبين علل من قرأ بالجر أو النصب في نصه الذي يقول فيه: "وقرأ الجمهور: (غير) بالجر على النعت، قال الزمخشري: وقرئ بالنصب على الحال، وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب، ورويت عن ابن كثير، وذو الحال الضمير في (عليهم) والعامل: (أنعمت) والمعنى: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم، وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله، وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره، غير صراط المغضوب عليهم، وقد زعم بعض النحاة أن (غير) هاهنا استثنائية، فيكون على هذا منقطعا لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم، وما أوردناه أولى"[١].

المبحث الخامس: ترافع المبتدأ والخبر :

ونقصد بترافع المبتدأ والخبر، أن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ، هذا في مذهب الكوفيين ومنهم الفرّاء، أما في مذهب البصريين فالمبتدأ مرفوع بالابتداء، والخبر مرفوع بالمبتدأ، وبغض النظر عن الاختلاف القائم بين المذهبين فإن كلا من المبتدأ والخبر يشكل ركنا أساسيا في الجملة لا يمكن الاستغناء عنه. وسنبين في هذا المبحث علة لزوم المثنى الألف في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾.

– لزوم المثنى الألف في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[٢] .

قال الفرّاء: "ولست أشتهي على (أن أخالِف الكتاب وقرأ بعضهم (إنْ هَذَان لساحران) خفيفة وفي قراءة عبد الله (وأسروا النّجوى أنّ هذان ساحران) وفي قراءة أبيّ (إنْ ذان إلا ساحران) فقراءتنا بتشديد (إنّ) وبالألف على جهتين.

إحداهما على لغة بني الحارث بن كعب: يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف. وأنشدني رجل من الأسد عنهم. يُريد بني الحارث:

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوَ يَرَى مَساغاً لِناباه الشّجاعُ لصمّما"[٣]

التعليق:

اختلف في تفسير هذه الآية الكثير من العُلماء على حسب كل لغة؛ فمنهم من أرجع ذلك إلى حذف ضمير القصة في إنه، ومنهم من أرجع ذلك إلى لغات بني الحارث التي ترفع وتنصب وتجر بالألف، ومنهم من قال: إن (إن) ليست بالشديدة، وإنما هي المخففة من الثقيلة... ومثل ذلك التفسير كثير. وحتى الفرّاء لم يجزم بقراءة من القراءات لأنه لا يستطيع مخالفة المصحف فيذكر ما جاء فيه تاما.

وللتفصيل أكثر نورد بعض القراءات ثم تعليق المفسرين على ذلك؛ فقد قرأ أبو جعفر والحسن وشيبة والأعمش وطلحة وحميد وأيوب وخلف في اختياره وأبو عبيد وأبو حاتم وابن عيسى الأصبهاني وابن جرير وابن جبير الأنطاكي والأخوان

[١] – تفسير ابن كثير ١: ٥٤.

[٢] – سورة طه، الآية: ٦٣.

[٣] – معاني القرآن للفرّاء ٢: ١٨٣، ١٨٤.

والصاحبان من السّبعة إنّ بتشديد النّون (هذان) بألف ونون خفيفة (لساحران) واختلف في تخريج هذه القراءة. فقال القدماء من النّحاة إنّه على حذف ضمير الشأن والتقدير إنّه هذان لساحران، وخبر (إنّ) الجملة من قوله (هذان لساحران) واللام في (لساحران) داخلة على خبر المبتدأ، وضعف هذا القول بأنّ حذف هذا الضّمير لا يجيء إلا في الشّعر وبأنّ دخول اللام في الخبر شاذ"[١].

وإذا تأملنا في هذا التفسير وتفسير الفرّاء، فإننا نجدهم يحاولون توجيه الآية إلى التقدير في الكلام لتفادي اللبس، فعوض أن يقولوا إن ذلك كان خطأ استدلوا بضمير الشأن المحذوف في إنّ على تقدير (إنه)، فيكون إعرابه بذلك اسم إن، وهذان خبرها مرفوع بالألف؛ لأنه مثنى، وحينئذ يتم توضيح الغموض، أو الاستدلال بكون "أن" هي مخففة وليست مشددة؛ والمخففة لا تتطلب اسما ولا خبرا وإنما هي مصدرية.

وقد تعدّدت الاستشهادات لتعليل الألف في لفظ (هذان)، فَأُمُّنا عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عنها قالت: إنها خطأ من الكاتب، والمفسرون الآخرون اختلفوا في تعليلها فمنهم من قال: إن (إن) ليست مشددة وهي (إنْ) بالتخفيف، ومنهم من أرجع ذلك إلى لغات أخرى، لكن قواعد اللغة العربية تحكم في الأصل على اللفظ بالنصب ل (هذين) لأنها اسم ل (إنَّ).

– الصّواب في لفظ "ذو عُسْرة" النصب؛ لأنه خبر كان:

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٢].

قال الفرّاء: "(وإن كان ذو عسرة) من قريش (فنظرة) يا ثقيف (إلى ميسرة) وكانوا محتاجين، فقال –تبارك وتعالى–: (وأن تصدّقوا) برؤوس الأموال (خير لكم) "[٣].

التعليق:

موطن الشاهد هنا يرتبط بلفظ (ذو عسرة) ولم يُشِر إليه الفرّاء في هذا التفسير؛ حيث إنّ (ذو) الأصل فيها النصب بالألف (ذا) لأنها جاءت في موضع خبر كان.

وقد "قرأ أبي، وابن مسعود، وعثمان، وابن عبّاس: ذا عسرة. وقرأ الأعمش: معسراً. وحكى الدّاني عن أحمد بن موسى أنّها كذلك في مصحف أبي علي أن في كان اسمها ضميرا تقديره: هو، أي: الغريم، يدلّ على إضماره ما تقدّم من الكلام، لأنّ المرابي لابدّ له ممن يُرابيه"[٤].

---

[١] – البحر المحيط، ٧: ٣٤٩. "وقرأ أبو بحرية وأبو حيوة والزهري وابن محيصن وحميد وابن سعدان وحفص وابن كثير(إنْ) بتخفيف النّون هذا بالألف وشدّد نون (هذان) ابن كثير، وتخريج هذه القراءة واضح وهو على أنّ "إنْ" هي المخففة من الثقيلة و(هذان) مبتدأ و(الساحران) الخبر واللام للفرق بين "إن" النّافية وإن المخففة من الثقيلة على رأي البصريين والكوفيين؛ يزعمون أنّ إن نافية واللام بمعنى إلا." المرجع نفسه.

[٢] – سورة البقرة الآية: ٢٨٠.

[٣] – معاني القرآن للفراء ١: ١٨٢.

[٤] – تفسير البحر المحيط ٢: ٢٤٧.

موطن الشاهد أن "كان" من الأفعال الناقصة التي ترفع اسمها، وتنصب خبرها، والفرّاء في هذا الموضع اكتفى بتحديد دلالة الآية فقط، دون التفسير اللغوي، وقد فسّرها صاحب البحر المحيط نقلا عن أئمة القرّاء ب (معسرًا)، فالاختلاف إذا واقع في القراءة، حيث التأويل في قوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾، أن (ذو) وردت مرفوعة يعني تعرب اسم كان، وخبرها مقدّر بعدها، وفي تأويل القراء (معسرًا)، تعرب خبر كان، واسمها مقدّر ب (هو)، وتقدير الكلام: (إن كان الغريم مُعسِرًا)، هذا إذا صح أن يكون الفعل ناقصًا، أما إن كان تامّا، فما ورد في الآية يكون على الشكل الأنسب فتصح القراءة، والله أعلم بالصواب.

– صلاح الصفة للخبرية مع ظرف مكرر:

قال تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ﴾[١].

قال الفرّاء: "وقوله: ﴿فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي النَّارِ خالِدَيْنِ﴾ وهي فِي قراءة عَبْد اللَّه: فكان عاقبتُهما أنهما خالدان في النار، وفى قراءتنا «خالِدَيْنِ فِيها» نصب، ولا أشتهي الرفع، وإن كَانَ يجوز وذلك أن الصفة قَدْ عادت عَلَى النار مرتين، والمعنى للخلود، فإذا رَأَيْت الفعل بين صفتين قَدْ عادت إحداهما عَلَى موضع الأخرى نصبت الفعل، فهذا من ذَلِكَ، ومثله فِي الكلام قولك: مررت برجل عَلَى بابه متحملا بِهِ، ومثله قول الشَّاعِر:

وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا ... شَرِقَتْ بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّحْرُ

لأن الترائب هِيَ اللبات هاهنا، فعادت الصفة باسمها الَّذِي وقعت عَلَيْهِ أولا، فإذا اختلف الصفتان: جاز الرفع والنصب على حسن. من ذَلِكَ قولك: عَبْد اللَّه فِي الدار راغبٌ فيك.

ألا ترى أن (فِي) التي فِي الدار مخالفة (لفي) التي تكون فِي الرغبة والحجة ما يعرف به النصب من الرفع. ألا ترى الصفة الآخرة تتقدم قبل الأولى، إلّا أنك تَقُولُ: هَذَا أخوك فِي يده درهم قابضًا عَلَيْهِ، فلو قلت: هَذَا أخوك قابضًا عَلَيْهِ فِي يده درهم [لم يجز]. وأنت تَقُولُ: هَذَا رَجُل فِي يده درهم قائمٌ إلى زَيْد. ألا ترى أنك تَقُولُ: هَذَا رَجُل قائم إلى زَيْد فِي يده درهم، فهذا يدل عَلَى المنصوب إِذَا امتنع تقديم الآخر، ويدل عَلَى الرفع إِذَا سهل تقديم الآخر"[٢].

التعليق:

موطن الشاهد في الآية كلمة (خالدان)، وقد قُرئت بالنصب في رأي الرّاء، وبالرفع بالألف في مذهب ابن مسعود وتبعه في ذلك صاحب معاني القرآن وإعرابه: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ قرأ عبد الله بن مسعود أنهما في النار خَالِدَان فِيهَا، وَهوَ فِي العربيةِ جائز إلَّا أنه خلاف المصحف، فمن قَالَ (خَالِدَيْن فيها) فنصب

[١] – سورة الحشر، الآية: ١٧.

[٢] – الفراء، ٣: ١٤٦، ١٤٧.

على الحال. ومن قرأ (خالدان) فهو خبر أَنَّ. والقراءة فَكانَ عَاقِبَتهُمَا على اسم كانَ ويكون خبر كانَ أنهما في النار على معنى فكان عاقبتهما كَوْنَهُما في النَّارِ ويقرأ فكان (عاقِبَتُهُمَا)، والنصب أحسَنُ "[١].

وللتيقن من الأمر أكثر، ننقل ما ذكره أصحاب إعراب القرآن في هذا المعرض، نأخذ في ذلك إعراب الزّجّاج:" ﴿فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي النَّارِ خالِدَيْنِ فِيها وَذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ﴾، (الفاء) عاطفة و(كان) فعل ماض ناقص وعاقبتهما خبرها المقدّم أي الغاوي والمغوي، وأن وما في حيّزها هو الخبر وأن واسمها وفي النار خبرها خالدين حال وفيها متعلقان بخالدين والواو استئنافية وذلك مبتدأ والإشارة إلى العذاب وجزاء الظالمين خبر ذلك"[٢].

تتضمن الآية الكريمة فعلا ماضيا ناقصا يحتاج إلى اسم مرفوع وخبر منصوب، وقد جاء ما بعد كان هنا منصوبا وحقّ ما بعد كان أن يأتي مرفوعا إذا كان اسمها، لكنه هنا خبر مقدّم بينما اسمها مقدّر في الكلام. وتقدير الكلام كلّه "وكان الغاوي والمغوي عاقبتَهما في النار. أما الاختلاف الواقع في كلمة "خالدين"، فإما بالنصب على الحال، وإما بالرفع (خالدان) على خبر (أن).

– الأصل في إعراب "الرَّاسِخُون" الرفع على الابتداء لا العطف:

قال الفراء: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ثم استأنف ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ فرفعهم[٣] ب «يَقُولُونَ» لا بإتباعهم إعراب اللَّه. وفي قراءة أَبِي (ويقول الراسخون) وفي قراءة عَبْد اللَّه ﴿إن تأويله إلا عند اللَّه، والراسخون فِي العلم يقولون﴾"[٤].

التعليق:

وقع لفظ (الراسخون) بعد الفاصلة مما يعني بداية كلام جديد منقطع عما قبله وليس مستأنفا، وإعرابه هنا على الابتداء مرفوع بالواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، وخبره جملة فعليه تقديرها (يقولون آمنا). أما من عطفه على (الله) فقد جوزه البعض وكرهه البعض الآخر، وهو في هذا الحال شاهد ضعيف لا يُستند إليه.

وممن يعرب كلمة (الراسخون) نعتا على الوجه الضعيف النحاس فيقول: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾ عطف على الله جلّ وعزّ. هذا أحسن ما قيل فيه لأن الله جلّ وعزّ مدحهم بالرسوخ في العلم فكيف يمدحهم وهم جهّال. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا أكثر من هذا الاحتجاج. فأما القراءة المرويّة عن ابن عباس وما يعلم تأويله إلّا الله ويقول الراسخون في العلم فمخالفة لمصحفنا وإن صحّت فليس فيها حجة لمن قال الراسخون في العلم ويقول الراسخون في العلم آمنا بالله فأظهر ضمير الراسخين ليبيّن المعنى كما أنشد سيبويه:

---

[١] – الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق (المتوفى: ٣١١هـ) ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة: الأولى، بيروت، عالم الكتب، ٥: ١٤٨.

[٢] –إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (المتوفى: ١٤٠٣هـ) ١٤١٥هـ، الطبعة: الرابعة، بيروت، دمشق، دار ابن كثير ١٠: ٥٢.

[٣] – أي إن «الراسخون» مبتدأ خبره جملة «يقولون» وهذه الجملة هي الرافعة للمبتدأ كما أنها ارتفعت به لأن المبتدأ والخبر عندهم يترافعان. وقوله: «لا بإتباعهم إعراب الله» أي لا بالعطف على لفظ الجلالة.

[٤] – معاني القرآن للفراء ١: ١٩١.

لَا أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ ... نغّص الموت ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا" [١].

الخاتمة:

للقواعد النحوية أهمية كبيرة، وتزيد أهميتها إذا تضافرت وتعاونت بعلم من أرفع العلوم وأجلها ألا وهو علم التفسير؛ ذلك العلم الذي يعنى بالكشف عن معاني الآيات القرآنية، ويبتغي وراء ذلك تيسير الفهم على المتلقي ببيان وتوضيح ما استصعب عنه فهمه؛ وقد رأينا من خلال هذه الورقات البحثية كيف استطاع الفرّاء بمخيلته الواسعة أن يمزج بين علوم لغوية متعددة في التفسير تلميحا لا تصريحا (علم النحو وعلم التفسير وعلم القراءات) إلا أن أقواها كان في النّحو؛ لأن النحو يضم الإعراب؛ والإعراب فهم المعنى؛ وفهم المعنى يحتاج إلى تفسير.

وبما أن الفرّاء عالم من عُلماء الكوفة الذي أولوا عناية كبيرة للنّحو رغم تأخرهم عن مدرسة البصرة إلا أن اجتهادهم كان له الحظوة والأهمية الكبيرة عند المتأخرين من العلماء. وقد برزت هذه الأهمية أثناء وقوفنا على مجموعة من القواعد سواء من حيث الترافع، أو العطف، أو التمييز، أو التقديم والتأخير، أو الصّلة أو الزيادة، أو الحذف.. وغير ذلك. فتبين من خلال تحليلها، وتفسيرها، والوقوف على تفسير الفراء، أنّ كل لفظة وردت في القرآن الكريم، فخالفت قواعد النّحو، بنصبها عوض الرفع، أو حذفها عوض الظهور، أو تقديمها عوض التأخير، إلا ويكون ذلك من أوجه الإعجاز القرآني، التي يحدد لها المفسّرون توجيهات نحوية لتأويل الكلام بما يُناسب السياق، فلا تكون بذلك مخالفة للكتاب.

والبحث هو توجيه للباحثين في علوم اللغة قصد التعمق في تفسير الفرّاء واستخراج المزيد من القواعد التي لا يسعفنا المجال هنا لذكرها كاملة، فكتاب الفرّاء من الكتب التي كلّما زِدت بحثا فيه، كلما اكتشفت من أسرار علمه ما لا عين رأتها، ولا عقل استنبطها، والله الموفق للصواب والمعين عليه، والحمد لله رب العالمين.

أهم نتائج البحث:

– يركز الفراء في تفسيره على النحو، فقد رأينا كيف كان يوجه الإعراب ويفسر دلالات الآيات القرآنية.

– حرص الفرّاء على تعليل الظواهر اللغوية في الكتاب، إضافة إلى اعتماده على القياس في معالجة القضايا اللغوية بشكل كبير. سيرًا على نهج أستاذه الكسائي وباقي علماء الكوفة.

– من الضوابط النّحوية أن الفرّاء اتبع منهج الاختيار في الآيات القرآنية، ثم رتبها على حسب السور ليدير المباحث اللغوية والنّحوية حولها عوض تنظيم الكتاب في فصول مرتبة بشكل واضح.

– إن ما يؤكد لنا أن كتاب معاني القرآن كتاب في التفسير وليس كتابا نحويا مُبوّبًا، أن الفرّاء لم يقم ببيان المسائل النّحوية وتبويبها، وإنما كان يتعرّض لها في سياق النّص القرآني مباشرةً، وإذا تبين له أن المسألة في حاجة إلى الإطالة بالوقوف عندها فعل ذلك، ثم ما يلبث أن يعود إلى السياق.

---

[١] – إعراب القرآن للنّحاس ١: ١٤٤. والشاهد لعدي بن زيد في ديوانه، ص: ٦٥، والأشباه والنظائر ٨: ٣٠، وخزانة الأدب ١: ٣٧٨، ولسوادة بن عدي في شرح أبيات سيبويه ١: ١٢٥، وشرح شواهد المغني ٢: ١٧٦، والكتاب ١: ١٠٦، ولسوادة أو لعدي في لسان العرب (نغص)، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١: ١٥٣، وخزانة الأدب ٦: ٩٠ و١: ٣٦٦، والخصائص ٣: ٥٣، ومغني اللبيب ٢: ٥٠٠.

– يعرض الفرّاء آراء وأقوال المتقدّمين، ويجنح في كثير من الأحيان لشيوخه وخاصة الكسائي، ولم يتوان في انتقاد بعضهم أحيانا أخرى، الأمر الذي يوضح منهجه النقدي.

أهم توصيات البحث:

-أوصي بالاهتمام بكل المجالات التي تُعنى بالقرآن الكريم وتفسير معانيه؛ لأنه الكتاب الوحيد الذي يحفظ لهذه الأمة شرفها، وعزتها من بين جميع الأمم الأخرى.

-ضرورة عقد مؤتمرات وندوات وطنية ودولية تعيد الاعتبار للنحو الكوفي، ولرواده ومنهم الفرّاء؛ لأن الساحة العلمية تفتقد لمثل هذه الصروح المعرفية.

-العمل على تخصيص مكون من مكونات المقررات الدراسية، أو مادّة من موادها الجامعية للنّحو الكوفي، وإبراز مواطن الاختلاف والتشابه بينه وبين النّحو البصري تطبيقا لا نظرا.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن الأنباري أبو البركات (ت٥٧٧هـ)، تحقيق طه عبد الحميد طه، البيان في غريب إعراب القرآن"، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

٢. ابن خلكان وفيات الأعيان تحقيق: د إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر بيروت. ١٩٧٧م.

٣. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، (المتوفى: ٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الطبعة: السادسة، دار الفكر – دمشق، ١٩٨٥

٤. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، عام النشر: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م.

٥. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الكناش في فني النّحو والصّرف، (المتوفى: ٧٣٢ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام، (د.ط)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، عام النشر: ٢٠٠٠م.

٦. أثير الدين الأندلسي أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان البحر (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، المحيط في التفسير، (د.ط)، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

٧. الاستانبولي إسماعيل حقي بن مصطفى، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الحنفي الخلوتي روح البيان، (د.ط)، دار الفكر – بيروت. (د.ت).

٨. الأندلسي أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذيّ، شهاب الدين (المتوفى: ٨٦٠هـ)، الحدود في علم النّحو تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، (د.ط)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ – السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٩. البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م. معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٠. بن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العالي السيد إبراهيم، محمد الشافعي الصادوق العناني. عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الخير دولة قطر.

١١. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ). الجوزي زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي. ١٤٢٢هـ.

١٢. الحنبلي الدمشقي النعماني أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل (المتوفى: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

١٣. الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق (المتوفى: ٣١١هـ) معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

١٤. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – الطبعة: الثالثة، بيروت – ١٤٠٧ هـ..

١٥. السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: ٣٧٣هـ). بحر العلوم، (د.ت).

١٦. سيبويه، الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات: الطبعة الثالثة، مطبعة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٨م.

١٧. الطبري أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. بشار عواد معروف. عصام فارس الحرشاني، دار المعارف، مصر، الطبعة: الأولى ١٩٩٤م.

١٨. طنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ١٩٩٧م.

١٩. الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (المتوفى: ٢٠٧هـ) معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار الشلبي، الطبعة: الثالثة، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة – ١٩٨٣م.

٢٠. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، القاهرة، دار الكتب المصرية – ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٢١. المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبي العباس، المعروف (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المقتضب، المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة، (د. ط)، القاهرة، عالم الكتب–١٩٩٤م.

٢٢. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (المتوفى: ١٤٠٣هـ) إعراب القرآن وبيانه، الطبعة: الرابعة، دار ابن كثير – دمشق –١٤١٥هـ.

٢٣. النَّحَّاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (المتوفى: ٣٣٨هـ) **إعراب القرآن**، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.